سياسة ناصر الدين شاه الخارجية إزاء هرات

(١٨٥٦-١٩٥٧)

الاستاذ الدكتور
خضير مظلوم فرحان البديري
جامعة واسط / كلية التربية
المدرس الدكتور
رزاق كردي حسين
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

سياسة ناصر الدين شاه الخارجية إزاء هرات (١٨٥٦-١٩٥٧)

الاستاذ الدكتور
خضير مظلوم فرحان البديري
جامعة واسط/ كلية التربية
المدرس الدكتور
رزاق كردي حسين
جامعة الكوفة /كلية التربية للبنات

المقدمة:

مثلت هرات حجر الزاوية في السياسة الإيرانية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وفي عهد ناصر شاه زادت وبشكل سافر التوجهات الإيرانية نحوها، وفي الوقت نفسه واجهت إيران العديد من المشاكل والمخاطر التي دفعت ثمنها غاليا من جراء قصر النظر السياسي لناصر الدين شاه، الذي لم يقدر جيدا ميزان القوى وتشابكها على الصعيد الدولي، فبريطانيا كان من المستحيل عليها أن تدع مدينة هرات التي كانت تشكل دائما "مفتاح الهند" بالنسبة لها، أن تقع بأيدي قوة تسيطر روسيا على أغلب مؤسساتها بصورة شبه كاملة، الأمر الذي دفع بريطانيا إلى بذل جهود مكثفة لإبعاد إيران عن المخططات الروسية.

إن قمة الصراع بين بريطانيا وإيران حول هرات تزامن مع مدة البحث(١٨٥٦-١٨٥٧) فالقضية بالنسبة للبريطانيين حياة أو موت، وكان باستطاعة بريطانيا التفريط بكل العلاقات البريطانية - الإيرانية السابقة من أجل أن لا تصل إيران الى أفغانستان وتحتل هرات، في حين لم يحقق ناصر الدين شاه، على الرغم من إصراره على احتلال هرات، من خلال سياسته الخارجية المزدوجة وتخبطه الفاشل بين الخنادق المتصارعة، أيّاً من أطماعه السياسية، التي طالما راودته، مما شكل أزمة سياسية في علاقات إيرانية الخارجية لاسيما مع بريطانيا، قادتها إلى الحرب ومن ثم الهزيمة.

تناولت أزمة السياسة الخارجية الإيرانية خلال(١٨٥٦-١٨٥٧) بخصوص قضية هرات من خلال توضيح الخلفية التاريخية، المهمة لتطورات الأحداث والأسباب التي قادت إلى هذه الأزمة، ومن ثم بيان مواقف كل من بريطانيا وروسيا

تجاه هذه القضية المهمة في تاريخ علاقات هذين البلدين، ومن ثم تابعت تطورات وأحداث المعارك التي دارت بين الجانبين من أجل إعطاء صورة واضحة وضمن قراءة جديدة للأحداث ضمن المدة نفسها والنتائج التي توصلت إليها هذه الحرب.

سياسة ناصر الدين شاه الخارجية إزاء هرات (١٨٥٦-١٩٥٧):

تأثرت العلاقات البريطانية - الإيرانية خلال معظم سنوات القرن التاسع عشر بتطورات الأحداث في هرات[١] نتيجة لمحاولة السلطات الإيرانية وبشتى الوسائل توحيد المقاطعة الأفغانية المذكورة وضمها إلى أملاكها، كلفت قضية هرات في الوقت نفسه بريطانيا خسائر كبيرة، وخلقت مشاكل استعصت على أصحاب الحل والعقد في لندن وكلكتا.

ومن الطبيعي جداً لم يكن الصراع وإراقة الدماء ضرباً من العجب في تاريخ هرات لكثرة الأطراف المتنازعة بين الأفغان أنفسهم، والمزاعم التي لم يتم التخلي عنها من لدن إيران[٢] بخصوص المقاطعة المذكورة، فضلا عن رغبة روسيا إثارة الخلافات بين إيران وجيرانها في الشرق للحصول على موطئ قدم لها على الساحة الإيرانية والتوسع في آسيا الوسطى.

لقد أنهت معاهدة تركمانجاي عام ١٨٢٨ بين ايران وروسيا المنتصرة، اثر انتهاء الحرب الروسية - الإيرانية ١٨٢٦-١٨٢٨، الآمال الإيرانية في التوسع باتجاه الغرب طالما أنها لم تكن تملك من القوة الكافية للدخول في حرب مع جاراتها الأخرى ألا وهي الدولة العثمانية، بينما باتجاه الشرق لم تكن الحدود محددة بشكل واضح، وأن جيرانها الأفغان كانوا غير موحدين، وكوسيلة لتعويض خسائرها الإقليمية في حربها مع روسيا، وكمناسبة للتوسع وبسط النفوذ باتجاه الشرق، فقد ضرب محمد شاه(١٨٣٤-١٨٤٨) حصارا على هرات عام ١٨٣٧[٣]، مما يشكل البداية للحملة اللاحقة، موضوعة البحث، التي تميزت بحسم كبير.

أدركت بريطانيا بشكل جدي أهمية هرات، إذ أشار بعض الساسة البريطانيين إلى أنها ((مكان على قدر من الأهمية...وهي المفتاح إلى أفغانستان)) وأن وقوع هرات.

إنّ تطورات الأحداث بهذه الصورة كان له أثره الواضح في الشاه، الذي أصابه الذعر من جراء الهجوم البريطاني على جزيرة خرج، لا سيما أن الهجوم الكبير الذي شنته القوات الإيرانية على هرات يوم ٢٣ حزيران ١٨٣٨ قد مني بفشل ذريع وتكبد الإيرانيون من جرائه خسائر جسيمة، قد تزامن مع الإنزال البريطاني المذكور واحتشاد القوات البريطانية في الهند استعداداً للهجوم على أفغانستان تأييدا لحاكم هرات كمران شاه، الأمر الذي أرغم شاه إيران على الانسحاب من هرات في أيلول ١٨٣٨[٤]، أعقبه مباحثات مطولة بين الطرفين توصلا خلالها إلى عقد معاهدة

تجارية في ٢٨ تشرين الأول ١٨٤١[٥] منحت بريطانيا من خلالها امتيازات إضافية، وبعد ذلك انسحبت القوات البريطانية من جزيرة خرج في آذار ١٨٤٢ بعد احتلال دام أربع سنوات[٦].

إنّ السهولة الواضحة التي مكنت الإيرانيين من تحريك قوة ضخمة وإبقائها على مقربة من أسوار هرات لعشرة أشهر، قد أظهرت لبريطانيا الأهمية السوقية لهرات، وسهولة الطرق المؤدية لها من الغرب، لهذا كان الموقف في هرات بالنسبة إلى بريطانيا باعثا على القلق في السنوات اللاحقة.

تفجرت أزمة هرات مرة أخرى مع بداية منتصف القرن التاسع عشر، ففي حزيران ١٨٥١ توفي يار محمد، الرجل القوي الذي منح هرات عشر سنوات من الاستقلال وخلفه ابنه سيد محمد خان، ولشعور الأخير بالقلق من جيرانه في كابل وقندهار طلب حماية ناصر الدين شاه في إيران، ولخشيته من اندلاع تمرد داخلي ضده بعث إليه الشاه يطمئنه((بأنه الحاكم الشرعي لهرات، وأن القوات الإيرانية ستكون عونا له في تأكيد ذلك))[٧].

استغل ناصر الدين شاه، الذي كان مشغولا في استرداد سلطانه في خراسان بإرسال بعض قطعاته العسكرية إلى هناك، إلا أن أمره افتضح في أيلول ١٨٥١، عندما أثيرت إشاعات في طهران بشأن تحرك قوات ايرانية ضخمة بقيادة مراد مرزا، حاكم خراسان، لاحتلال هرات[٨].

إنّ وقوع هرات بأيدي الإيرانيين، بكل خيراتها الطبيعية، وقدرتها على حماية أي تقدم أجنبي، من شأنه تعجيل القيام بمحاولة لغزو الهند من لدن الروس والإيرانيين، لذلك يجب على بريطانيا بذل أقصى الجهود لإبقائها مستقلة عن إيران، ولم يكن شيل *Shell*، السفير البريطاني الجديد في طهران يريد القيام بعمل عسكري لتحقيق ذلك المطلب، فهو يعتقد أن التهديد سيكون كافيا لإقناع الإيرانيين، لهذا قدم شيل احتجاجا شديد اللهجة للحكومة الإيرانية مؤكدا لها أن هذا الخطوة يترتب عليها عواقب وخيمة، ولكن الحكومة الإيرانية أجابت على احتجاجات شيل بأن الحملة الإيرانية كانت تهدف إلى مساعدة سيد محمد خان ضد تهديدات جيرانه في كابل وقندهار، وليس لاحتلال هرات[٩].

إنّ التحذيرات التي قدمها شيل لم تجدِ نفعاً مع الشاه والحكومة الإيرانية، إذ لازالت إيران وعلى الرغم من تأكيداتها المتناقضة ماضية فعلا بالتوجه نحو الشرق واحتلال هرات، لاسيما وأن أغا خان نوري، الصدر الأعظم، قد أخبر شيل في رسالة له في كانون الثاني ١٨٥٢، بأن إيران تعد هرات من توابع خراسان، وأن المحافظة على أمنها واستقرارها تقع على عاتق إيران نفسها[١٠].

واصل الشاه مغامراته وشعر بأن الوقت حان لاحتلال هرات، وفعلا مع مطلع نيسان١٨٥٢، احتلت القوات الإيرانية، التي كان يقودها عباس قلي خان، مدينة هرات، وعززت قواتها تلك بقوات إضافية في منطقة غوريان الحدودية(١١).

كان هذا العمل الطائش بمثابة الإنذار للحكومة البريطانية، فقد عبر اللورد مالمسبوري *Malmesbury*، وزير الخارجية البريطاني، عن شعوره بالقلق تجاه العدوان الايراني على هرات، وأكد في تحذيره للسفير الإيراني في لندن، والذي تم بتهديد يلوح بشن الحرب، بأن بريطانيا ستقطع علاقاتها الدبلوماسية مع ايران في حالة عدم انسحابها من هرات وإعادتها إلى الحكم الأفغاني(١٢)، وفي الوقت نفسه أخبر مالمسبوري سفيره في طهران، أن يذكر الحكومة الإيرانية بأحداث عام ١٨٣٨ ويؤكد لها بأن الحكومة البريطانية قادرة وبسهولة على تحويل عدم رضاها الى شكل ملموس...وأنها لن تسمح لأية محاولة من جانب إيران للتأثير على الحالة السياسية في البلدان الواقعة بين الحدود الإيرانية والأقاليم البريطانية في الهند(١٣).

إن الانتصارات التي حققتها القوات الإيرانية في هرات اصابت الشاه بالغرور وأبعدته عن الاذعان للتهديدات البريطانية، والأنكى من ذلك بادر إلى اصدار (فرمان) في تشرين الأول١٨٥٢ يعلن فيه إلحاق هرات بإيران رسميا وتسمية سيد محمد خان حاكما عليها باسم الحكومة الإيرانية(١٤).

وبعد شهرين من الاحتلال الايراني لهرات، وحين أظهرت التهديدات البريطانية المجردة عقمها، هدد شيل في كانون الثاني١٨٥٣ بمغادرة ايران، وفي الوقت نفسه دعا حكومته لتنفيذ ما وعدت به بقطع علاقتها مع ايران، وتهديدها بالحرب عن طريق احتلال جزيرة خرج(١٥)، وفعلا طلب وزير الخارجية البريطاني البدء بالتحضيرات في بومباي لاحتلال جزيرة خرج في الخليج العربي بحجة تعرض الهند البريطانية للخطر نتيجة تقدم القوات الإيرانية لاحتلال هرات، واحتمال مجيء الوكلاء الروس قرب الحدود الهندية(١٦).

وقبل أن يتم تنفيذ عملية احتلال جزيرة خرج رضخت الحكومة الإيرانية للتهديد البريطاني وتوصل شيل في٢٥ كانون الثاني١٨٥٣ إلى اتفاق مع الإيرانيين، يبدو ظاهريا على الأقل حصول بريطانيا على الرضا الذي أرادته في هرات، لاسيما وأن الحكومة الإيرانية تعهدت بموجبه بعدم إرسال أية قوات عسكرية مرة أخرى إلى مقاطعة هرات إلا في حالة تهديدها بغزو خارجي من كابل أو قندهار، وأن لا تتدخل في شؤون هرات الداخلية وتلغي كافة مظاهر التبعية لها، مثل سك العملة التي تحمل اسم الشاه والدعاء له في خطبة الجمعة، وأن لا يكون هناك تمثيل دائم بين هرات وطهران، في حين تعهدت بريطانيا من جانبها بعدم التدخل في شؤون هرات(١٧).

كان لتطور الأحداث على الساحة الأفغانية والإيرانية انعكاساته على العلاقات البريطانية الإيرانية في المرحلة اللاحقة، لاسيما وأن الشاه كان قد ابدى تذمره الكبير

من الاتفاقية السابقة والبريطانيين معا لقطع الطريق أمامه في تحقيق طموحه بالاستيلاء على هرات، لهذا بدأ يفكر وبشكل جدي باستغلال التطورات الدولية للاستفادة منها في تنفيذ رغبته في افغانستان مرة أخرى.

أصبح الشاه آنذاك أكثر استعدادا للتقرب من روسيا، لاسيما بعد أن احتلت روسيا بعض ولايات الدانوب العثمانية في تموز ١٨٥٣ نتيجة لرفض السلطات العثمانية الطلبات الروسية بحماية الرعايا الأرثودوكس في الأراضي المقدسة، ومن منطلق الثأر من بريطانيا هلهل الشاه لآراء دولوكوركي *Dologoruky*، السفير الروسي في طهران، ومقترحاته التي أكدت الانتصار الروسي في الحرب الروسية العثمانية، التي ستكون بعيدة عن تدخل الدول الأوربية الأخرى، الأمر الذي دفع به للموافقة على عرض السفير الروسي في تشرين الثاني ١٨٥٣ بعقد اتفاق دفاعي - هجومي مع روسيا ضد الدولة العثمانية، تتنازل روسيا بموجبه عن كل ما تبقى لها من التعويضات المستحقة لها على ايران التي أقرتها معاهدة تركمانجاي، مع تقديم معونة لها، فضلا عن احتفاظ ايران بالأراضي العثمانية التي تستولي عليها القوات الإيرانية إثناء الحرب مع توفير المعدات الحربية اللازمة للجيش الايراني[١٨].

وبالرغم من التقارير المفصلة التي أرسلها دولوكوري إلى بطرسبورغ، إلا أن الأخيرة أكدت بأن التحالف مع إيران يمثل مشكلة لروسيا بحد ذاته، إذ سيؤدي إلى تعقيد العلاقات الروسية مع بريطانيا وفرنسا ويجرها للحرب ضدها، فضلا عن ذلك فإن السلطات الروسية كانت شديدة الاقتناع بأن نتيجة الحرب ستكون لصالحها طالما أن الحرب ستنحصر بينها وبين العثمانيين فقط، لذا فإن التحالف مع إيران لم تلق أذنا صاغية لها في بطرسبورغ، التي أبلغت فعلا سفيرها في طهران برفض الشروط الإيرانية وطلبت منه أن يفهم الشاه بأنه سيقدم خدمة جلية لروسيا باقناعه القبائل الكردية على الحدود العثمانية - الإيرانية أن تلتزم الحياد، ،وأن مشاركته الودية لروسيا تكمن في ايقاف فعاليات ممثلي بريطانيا والعثمانيين في إيران ضد الروس، لاسيما في تبريز، التي استخدمت ولزمن طويل من قبل البريطانيين والعثمانيين كقاعدة مناسبة لأعمال الدعاية المختلفة ضد روسيا[١٩].

استغل أغا خان نوري الموقف الروسي، الرافض للشروط الإيرانية، ليقنع الشاه بالعدول عن رأيه والتحالف مع الطرف الآخر من النزاع، مؤكدا له دخول بريطانيا وفرنسا الحرب ضد روسيا، وأن قوة إيران بجانب الحلفاء سيخلصها من كافة الالتزامات التي أكدت عليها معاهدة تركمانجاي مع روسيا، وتسترجع المقاطعات القوقازية المقتطعة منها أثر حرب ١٨٢٦-١٨٢٨، التي هي أفضل من المقاطعات العثمانية التي وعده بها السفير الروسي، ونتيجة لتأثر الشاه بأفكار نوري، أمر بعودة القوات الإيرانية التي أرسلت فعلا إلى اذربيجان، وكرمنشاه، وظل يراقب الموقف بحذر من أجل الدخول إلى جانب الطرف الثاني في النزاع[٢٠].

وفي ظل مواقف الشاة المتأرجحة بين طرفي النزاع، كانت بريطانيا تراقب عن كثب الموقف في إيران، فقد أوعز كلارندون *Clarendon*، وزير الخارجية البريطاني، إلى القائم بالأعمال البريطاني في طهران بإبلاغ الشاه بشأن الموقف الذي يتعين أن تتخذه إيران، وبالتحديد يجب أن يكون موقفا ذو حيادية صارمة(٢١)، وطالما أن الحياد لن يقدم لإيران فرصة مفيدة نظرت لبريطانيا بعين الكراهية ولم تفقد الأمل باستغلال تطورات الحرب للحصول على بعض المكاسب لها، فضلا عن تطلعاتها نحو الشرق لإيجاد ثغرة يمكن النفاذ عن طريقها إلى هرات وافغانستان.

في أواخر عام ١٨٥٤ انهارت صحة شيل في طهران فتم تعيين السير تشارلس موري *Murray*، ليحل محله، وانتهز وزير الخارجية البريطاني هذه المناسبة لتأكيد السياسة البريطانية تجاه ايران، فبعد الاشارة إلى ضرورة احتفاظ الأخيرة بالحياد لضمان سلامتها، اشتملت تعليمات كلارندون إلى موري على تحذير شديد اللهجة للشاه بخصوص التورط في افغانستان، ((من الضروري أن يتم ابلاغ السلطات الإيرانية بشكل واضح عن تصميم الحكومة البريطانية بعدم التسامح مع أية محاولة إيرانية لحد النفوذ على الأفغان بأي طريقة أو التدخل في شؤونهم الداخلية... فلا يمكن للحكومة البريطانية السكوت على استمرار المؤامرات الإيرانية بين الأقاليم الافغانية التي تشكل، سواء مجتمعة أم منفردة، حاجزا مهما أمام الخطر الروسي لمهاجمة الإمبراطورية البريطانية في الهند))(٢٢).

حاول الإيرانيون الاستفادة من انشغال بريطانيا بحرب القرم مع روسيا لصالحهم، لكنهم اصيبوا بالذعر لعقد معاهدة صداقة وتحالف دائمية بين بريطانيا وعدوهم اللدود دوست محمد خان، امير كابل، في بداية عام ١٨٥٥، ورغبة الأخير في توحيد افغانستان(٢٣).

إن مخططات دوست محمد خان لإخضاع كل افغانستان وضم هرات لسلطته أثارت مخاوف ناصر الدين شاه، الذي بدأ يتدخل في هرات، فكان له دورا واضحا في التغيير الذي حدث هناك، إثر نجاح حركة السادوزي محمد يوسف، اللاجئ في ايران، ووصوله إلى الحكم في هرات بعد خلع سيد محمد خان، الذي كان متزوجا من إحدى بنات دوست محمد خان(٢٤).

وهنا أدرك شاه ايران بأن الوقت لصالحه، ويتوجب عليه التخلص من الوجود البريطاني المتمثل في البعثة البريطانية في طهران، وسرعان ما سنحت هذه الفرصة له، ففي ٤تشرين الثاني ١٨٥٥ ابلغ موري رغبته للصدر الأعظم بتعيين ميرزا هاشم خان، عديل الشاه، مراسلا اخباريا للسفارة البريطانية في شيراز، ولكن الصدر الأعظم اعترض على هذا التعيين بحجة أن ميرزا هاشم خان هو أحد موظفي الحكومة الإيرانية، وأن الحكومة البريطانية وبموجب معاهدة ١٨٤١ يحق لها تعيين مراسلين في طهران وتبريز وبوشهر فقط، إلا أن موري رفض بدوره احتجاج اصدر الأعظم

بدعوى أن تعيين مراسلين بريطانيين في تبريز كان يتم منذ سنوات كثيرة من دون أن يعترض أحد على ذلك[٢٥].

أثار هذا التعيين سخط كل من الشاه والصدر الأعظم، وهددوا ميرزا هاشم خان بالسجن، إذا ما باشر بمهام عمله، وللتعبير عن جدية رفضهما لهذا التعيين، قام بحجز زوجته في القصر الملكي، ولم يطلق سراحها على الرغم من الطلبات التي قدمها موري نفسه، الذي فسر الموقف بأنه انتقاص لكرامة البعثة البريطانية وحقها في حماية موظفيها، الأمر الذي دفعه لأن يوجه في ١٧ تشرين الثاني ١٨٥٥، إنذارا إلى الصدر الأعظم، هدد فيه بقطع العلاقات الدبلوماسية مع ايران ما لم يتم الافراج عن زوجة ميرزا هاشم خان حتى ظهر يوم ١٩ تشرين الثاني، لكن الحكومة الإيرانية اتهمت موري بأنه على علاقة غير شرعية بها، مما عد البريطانيون ذلك بمثابة اهانة موجهة إلى لندن، نتيجة لعدم التوصل إلى حل للأزمة بين موري والصدر الأعظم قام الأول بإنزال العلم البريطانية في ٥ كانون الأول ١٨٥٥ وغادر طهران صوب الحدود العثمانية قاطعا بذلك العلاقات الدبلوماسية بين ايران وبريطانيا[٢٦].

جاءت التطورات السياسية في افغانستان متزامنة مع التدهور الشامل في العلاقات بين بريطانيا وإيران لتضيف اليها بعداً جديداً، فقد استولى دوست محمد على قندهار في كانون الأول ١٨٥٥، وأكدت الأخبار بأن خطوته التالية ستكون الزحف على هرات، الأمر الذي دفع بحاكمها محمد يوسف لأن يوجه نداءً عاجلا إلى الشاه ليمد له يد المساعدة، وقد استجاب ناصر الدين شاه بصورة فورية لهذا النداء، فتحرك الجيش الايراني في شباط ١٨٥٦ باتجاه هرات تحت قيادة سلطان مراد ميرزا، أحد أمراء البيت المالك. وبعد شهر استولى على غوريان، التي تشكل خط الدفاع الأمامي لهرات من جهة الغرب[٢٧].

برر الإيرانيون عملهم هذا بالدفاع عن ايران وصون وحدتها الاقليمية، فقد نشرت جريدة طهران الرسمية بياناً مطولاً جاء فيه ((إن دوست محمد لم يكن على وشك الزحف على هرات حسب، بل إلى ما ورائها داخل خراسان... وإن الحكومة الإيرانية لا تستطيع أن تقف مكتوفة الايدي أمام هذا التدخل السافر في شؤونها الداخلية، لذا كان عليها أن تقاتل الشر وتبادر بإرسال جيشها إلى هرات، التي لا تسمح أبداً بسقوطها بين أيدي غريبة))[٢٨].

وفي حقيقة الأمر أن حاكم هرات وخلافا لما توقعته ايران لم يصبح إلعوبة بأيدي الحكومة الايرانية والشاه، إذ أدرك وبسرعة خطر سحقه بين كماشتي الشاه والأمير، وطبقاً لذلك طلب من قائد الجيش الايراني أن يؤخر ارسال الجيش إلى ما وراء مشهد ليكون قادراً على تسوية الأمور بصورة ودية مع دوست محمد، لكن التعليمات التي أعطت إلى القائد الايراني لكانت تطالبه بالاندفاع قدما وبأقصى سرعة[٢٩]، في حين تعمق الشعور بالخطر الايراني في هرات عندما أمر قائد الجيش الايراني حكومة هرات باستقبال القطعات الإيرانية داخل القلعة، وسك العملة باسم

الشاه والدعاء له في خطبة الجمعة، وكان ذلك يعني باختصار خضوعا شاملا للشاه، ولكن حاكم هرات أكد بأنه بينما يكرس نفسه لشخص الشاه، إلا أنه لا يستطيع اجبار شعبه بمن فيهم رجال الدين قبول السلطة القاجارية، وطبقا لذلك، فإنه يصر على رفض الطلب(٣٠)، وفي الوقت نفسه تأججت المشاعر الوطنية لدى سكان هرات، مما دفع بهم إلى القيام بثورة شعبية أطاحت بمحمد يوسف بقيادة نائبه عيسى خان، الذي سلمه إلى الإيرانيين وطلب دعما من موري مؤكدا له بأن يضع هرات تحت التاج البريطاني(٣١).

أرسل عيسى خان طلباً آخر إلى حكومة الهند بهذا الخصوص، بينما كانت رسائل دوست محمد التي وصلت لحكومة الهند متزامنة مع طلب عيسى خان، يعلن فيها عزمه على التقدم بقواته لانقاذ هرات من الخطر الايراني، ويطلب موافقة الحاكم العام في الهند على ذلك، غير أن هذين الطلبين وضعا كانتج *Canning*، الحاكم العام في مأزق حرج، وذلك لو أنه ساند عيسى خان بإرسال قطعات عسكرية له، فإنه وبدون شك سوف يبعد دوست محمد، بينما لو وافق على طلب الأخير فإنه يجب عليه أن يتوقع مقاومة قوية من عيسى خان، العدو اللدود لدوست محمد، لذا قرر عدم اجابة أي من الطلبين، واكتفى بإرسال لكين من الروبيات كهبة لعيسى خان(٣٢).

في ظل التطورات الدولية وبعد عقد معاهدة باريس في ٣٠ آذار ١٨٥٦(٣٣)، إثر انتهاء حرب القرم قامت الحكومة الايرانية بمبادرة لاعادة العلاقات بينها وبين الحكومة البريطانية، ففي ١٠ نيسان ١٨٥٦ عرض القائم بالأعمال الإيرانية في الاستانة على اللورد ستراتفورد *Stratford*، السفير البريطاني لدى الباب العالي، جملة من المقترحات لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بين البدين، التي أكدت موافقة الشاه على عودة موري إلى طهران واستقباله استقبالا ودياً واعادة زوجة ميرزا هاشم خان إلى زوجها، وارجاع زوجها إلى عمله في الحكومة الايرانية، إلا أن تلك المقترحات لم تلقَ أذناً صاغية في لندن، التي لم تكن على عجلة من اعادة العلاقات مع ايران وخطب ود الشاه طالما أن حرب القرم قد وضعت أوزارها، فقد أكد كلارندون في رسالته إلى ستراتفورد ((إننا لم نكن مستعجلين بالنسبة لهذا الموضوع))(٣٤)، ومع ذلك فإن لندن لم ترفض المفاوضات أصلا.

ظلت هرات تمثل حجر الزاوية في السياسة البريطانية على الرغم من انتهاء حرب القرم باعتبارها تمثل خط الدفاع الأول عن الهند، لذلك فهم بالمرستون *Palmerston*، رئيس الوزراء البريطاني، بخصوص الموقف في هرات، بأن الروس وراء تحركات الشاه هناك، فأكد لوزير خارجيته ((أنه لا بد من حمل الحكومة الايرانية على التخلي عن خططها في هرات))، وفي الوقت نفسه أبرق كلارندون إلى ستراتفورد يوم ٢٤ آيار ١٨٥٦ بأن يوجه تحذيراً إلى القائم بالأعمال الايرانية في الاستانة يؤكد فيها ((إذا قامت ايران باحتلال هرات فإن ذلك العمل سيكون سبباً جديداً

وأكيداً للخلاف مع بريطانيا، وبالتالي ستصبح جميع المفاوضات لتسوية الخلافات القائمة عديمة الجدوى))[٣٥].

وفي ١١ تموز ١٨٥٦، كرر وزير الخارجية البريطاني في تحذيره للصدر الأعظم ((ما لم يتم سحب الجيش الايراني فوراً من هرات فإن الحكومة البريطانية سوف تضطر لاتخاذ الاجراءات التي تحفظ لها كرامتها ومصالحها))، في حين ادعى الصدر الأعظم في رده على كلارندون بأن لا يستطيع أن يفهم سر غضب الحكومة البريطانية، وأكد له، بأن جيش ايران قد ذهب للدفاع عن هرات ضد دوست محمد، وأنه سينسحب منها حالما ينسحب دوست محمد من قندهار ويعود لكابول، وأن مسألة هرات سوف تحسم على الفور حال عودة البعثة البريطانية إلى طهران[٣٦].

لم تؤدِ المفاوضات التي استمرت طويلاً بين ايران وبريطانيا في الاستانة، لاسيما وأن بريطانيا قد وضعت شروطا لتسوية الخلافات بين البدين كان من الصعب على ايران القبول بها، فقد قدم ستراتفورد إلى فرخ خان، المفاوض الايراني في ١٧ تشرين الأول ١٨٥٦ الشروط البريطانيا التي تضمنت تخلي الايرانيين عن مزاعمهم في هرات، ودفع التعويضات إلى أهلها، وعدم التدخل في شؤونها مستقبلاً، وأن تعقد ايران معاهدة تجارية مع بريطانية تضمن لها حرية الحركة والانتقال والاقامة للقناصل البريطانيين في مدن ايران الكبرى، والتنازل عن بندر عباس إلى حليفهم سلطان عمان، وعزل الصدر الأعظم من منصبه[٣٧].

وبينما وصلت المباحثات بين الطرفين إلى طريق مسدود، كان عيسى خان يقاوم القوات الإيرانية ببسالة ولعدة اشعر، ولكنه أجبر أخيرا على تسليم هرات للإيرانيين في ٢٦ تشرين الأول ١٨٥٦ بعد حصار دام ستة أشهر، وأعلن الشاه بأن هرات أصبحت جزءا لا يتجزأ من ممتلكاته[٣٨]، وهكذا حصل ما عملت بريطانيا ضد وقوعه قرابة ربع قرن على الأقل، في ظروف ليست أقل خطورة من تلك التي حدثت عام ١٨٣٨.

وحين عجزت كل الجهود الدبلوماسية والتهديدات عن ارجاع الإيرانيين عن تنفيذ مآربهم في هرات، وبعد أن استكملت كل الاستعدادات العسكرية البريطانية في أوائل تشرين الأول ١٨٥٦ للتحرك باتجاه الخليج العربي، أتخذ القرار البريطاني على لسان اللورد كاننج، الحاكم العام للهند باعلان الحرب على ايران في الأول من تشرين الثاني ١٨٥٦[٣٩].

كانت الجهود البريطانية في هذه الحرب موجهة ومركزة حول تأمين إخلاء هرات من دون تكبيد ايران خسائر هائلة[٤٠]، لذلك قدمت إلى السلطات العسكرية البريطانية خطتان لحسم الحرب لصالح بريطانيا،أولهما: إرسال جيش هندي بصحبة جيش أفغاني إلى هرات مباشرة، وثانيهما: أكثر صعوبة في التنفيذ وهي المسير إلى هرات من بندر عباس، وكلا الخطتين يحملان بريطانيا جهداً هائلاً وثمناً باهظاً[٤١]، وبرغم عدم الاتفاق حول أفضل نوع للحرب ممكن اتباعه ضد ايران، فإن كلا من

حكومة الهند والحكومة البريطانية لم يشككا بأهمية هرات لمصالح بريطانيا، وأن حرباً من أي نوع ستكون ضرورية ومبررة إذا لم ترفع عنها القبضة الإيرانية، وأخيرا تقرر أن يكون عمل القوات البريطانية في الخليج العربي.

كانت العمليات العسكرية البريطانية في الخليج العربي وفي جنوب ايران سريعة الحركة ومصيرية أكثر مما كانت تروى، فقد تحركت الحملة العسكرية البريطانية التي تألفت من ٤٥ سفينة في ٨ تشرين الثاني ١٨٥٦ من اربعة موانئ هندية، كراتشي، وفنجويلا، وبور بندر، وبومباي، بقيادة الجنرال ستالكر ***Stalker*** لتتجمع في بندر عباس مع نهاية تشرين الثاني ١٨٥٦، وكانت التعليمات التي وجهت إلى قائد الحملة هي الاستيلاء على جزيرة خرج وبوشهر وتحويل المنطقة الأخيرة إلى قاعدة للانطلاق منها إلى مناطق ايران الداخلية[٤٢].

اكملت البعثة العسكرية البريطانية احتلالها جزيرة خرج وبدون مقاومة يوم ٤كانون الأول وفي السابع منه استطاعت القوات البريطانية أن تنزل في (خور هليلة) القريبة من بوشهر، مما سهل لها الزحف على مدينة(ريشاير) المحصنة في الصباح الباكر ليوم ٩ كانون الأول، وقام الاسطول البريطانية بقصف الحصن، مما أرغم نصف رجال الحامية الإيرانية إلى مغادرته، وقام جزء من قوات الوحدة الثالثة البريطانية وفصيل بومباي العشرين (جندرمة) وفصيل البلوش الثاني والكتيبة٦٤ والكتيبة الاوربية الثانية ولواء مشاة بومباي بالهجوم المركز على ريشاير، وفي الوقت نفسه أطلقت البوارج البريطانية على جنوب المدينة وفتحت نيرانها على البطاريات الإيرانية المدافعة عن المدينة، وبعد ساعتين من القتال العنيف تراجعت القوات الايرانية إلى خطوط دفاعية جديدة في بوشهر، وبعد أن وصلت القوات البريطانية على بعد ألف ياردة من أسوار بوشهر استسلم حاكم المدينة بعد القصف المركز للمدينة من قبل الأسطول البحري البريطاني لمدة اربع ساعات تقريبا، وغنمت القوات البريطانية خلال هذه المعركة على (٥٩)مدفع، و(٣٠٠) بندقية ومخازن كثيرة من الأعتدة والذخائر[٤٣].

حاولت ايران موجهة الموقف في الخليج العربي، فنقلت بعض قواتها العسكرية من شمال ايران إلى منطقة فارس والأحواز وأدخلت تحصينات جديدة إلى القلاع التي بنيت حديثاً، كما أعلنت الحكومة الايرانية الجهاد في الحرب باعتبارها حرباً دينية مقدسة ضد بريطانيا، وفي الوقت نفسه أصدر الشاه بياناً إلى الإيرانيين يوم ٨كانون الثاني ١٨٥٧ ناشدهم فيه بالدفاع عن الإسلام ضد الغزاة النصارى، الذين دنسوا الهند ويعتزمون فرض هيمنتهم على إيران، إلا أن تلك الدعوة لم تلقَ تأييداً من الإيرانيين، الذين لم يتحمسوا لهذه الحرب، التي لم يكسبوا منها شيئا سوى فرض ضرائب جديدة[٤٤].

كان بالمرستون يعتقد بشكل كبير أن احتلال جزيرة خرج وبوشهر تكفي لأن يدفع الإيرانيين للانسحاب من هرات، إلا أن الساسة البريطانيين الآخرين، لاسيما في الهند لم يشاطرانه الرأي، إذ أكد الحاكم العام للهند، أن الشاه لن يخضع إلا بالزحف إلى عمق ايران[٤٥].

لقد أعطى تولي السير جيمس اوترام *Outram* قيادة الحملة العسكرية بدلا من الجنرال ستالكر[٤٦]، زخماً جديداً في العمل العسكري البريطاني على الأراضي الايرانية، لاسيما وأنه كان مزودا بصلاحيات مطلقة للتفاوض مع إيران في حالة حسم العمليات العسكرية سريعا وموافقة الشاه على الانسحاب من هرات، وإلا فإن عليه أن ينقل قواته إلى شط العرب ويحتل المحمرة، ويتقدم عبر نهر الكارون إلى شوستر ليهدد أصفهان[٤٧].

وبصورة عامة فإن كلاً من حكومة الهند وأوترام قد توقعا بأن الحرب سوف تدوم أكثر مما كانت عليه، وسرعان ما تحرك أوترام بقواته المؤلفة من(٤٢٣٤) من المشاة و(١٨) مدفعا في الثالث من شباط ١٨٥٧ لمهاجمة القوات الإيرانية في بوزجان لتأمين قاعدته في بوشهر من خطر التهديد الذي يشكله وجود قوات ايرانية في المنطقة المذكورة، وكانت القوات البريطانية تفتقر إلى وجود الخيم التي تساعدها في الحماية من الظروف المناخية القاسية، إذ كان كل جندي فيها يحمل معطفا كبيرا وبطانية وأرزاق تكفي لمدة يومين فقط، وبعد أن قطعت هذه القوات مسافة (٤٦)ميلا شمالا من بوشهر في (٤١)ساعة في ليل بارد جدا، ووسط العواصف والأمطار الكثيرة استطاعت أن تصل إلى الهدف المحدد لها صباح يوم الخامس من الشهر نفسه[٤٨] فاحتلته القوات البريطانية، لاسيما وان الإيرانيين فروا من معسكراتهم قبل وصول البريطانيين لهم، لهذا قرر اوترام العودة إلى بوشهر في يوم ٧ شباط، ولكن قواته هوجمت أثناء عودتها عند قرية خوشاب الصغيرة من قبل القوات الإيرانية التي تعرضت على أثرها لخسائر فادحة في الأرواح والمعدات[٤٩]، بعد أن تمكن رجال الفرسان والمدفعية من مقاتلي الفرقة الثالثة البريطانية من الهجوم على الوحدات الإيرانية المهاجمة وتدميرها في الساعة العاشرة قبل ظهر اليوم نسفه، والتي ولت هاربة مخلفة وراءها (٧٠٠)قتيل ومدفعين في أرض المعركة، وأسّر البريطانيون (١٠٠)من الجنود الايرانيين، مقابل(٨٢) إصابة بين القوات البريطانية، وبعد انتهاء المعركة عسكرت القوات البريطانية في العراء مساء اليوم الثامن بالقرب من قرية خوشاب، ثم عادت إلى بوشهر في اليوم التالي[٥٠]، وقد اطلقت جريدة التايمس اللندنية على هذه المعركة وبالخط العريض اسم (المعركة العلمية) التي رفعت من سمعة الجيش البريطاني في العالم[٥١].

بعد أن اطمئن اوترام من تأمين قاعدته في بوشهر ضد أي هجوم أيراني محتمل عليها، تركها بعهدة الجنرال جون جاكوب *Jacob* ليتجه مع قواته إلى مدينة

المحمرة، التي تحصنت فيها القوات الإيرانية[٥٢]، وخلال ذلك حاول الضباط البريطانيون إغراء قبائل كعب العربية وقبائل البختيارية بمساعدة قواتهم إذ كانت تلك القبائل بأجمعها على استعداد لمد يد العون إلى القوات البريطانية بهدف تحرر تلك القبائل من تسلط الحاميات الإيرانية المتواجدة في المنطقة[٥٣]، الا أن اوترام أبدى حذراً كبيراً في قبول تلك العروض على الرغم من أنه كان يفضل تلك المساعدة في الصراع مع ايران حتى يضمن وصول الامدادات إلى قواته من العراق ووصول المواد الغذائية من المحمرة، ولكن التعليمات البريطانية كانت قد منعته من قبول أي مساعدات إلا من القبائل المستقلة، لأن الحكومة البريطانية لم ترغب أساسا في تقويض نفوذ الشاه وسلطانه على المقاطعات الجنوبية من ايران، ومع ذلك فقد بعث اوترام برسالة إلى كاننج في منتصف شباط ١٨٥٧ يطلب فيها رفع الحظر عليه في التعامل مع تلك القبائل موضحا ((إن أي هجوم نقوم به على ايران من الجنوب، إذا ما حيل بيني وبين الاستعانة بالقطعات البدوية من السكان المعروفين بعدائهم للحكومة الايرانية، فإن ذلك سيمدني بأهم عنصر من عناصر النجاح...فإذا لم استعن بهم أو أدعوهم، فإن البديل لذلك سيكون عدائهم الذي سيتحول إلى قطع خطوط المواصلات والمعلومات عني وتعرض قوافل التموين والأمتعة للنهب من جانبها))[٥٤].

غير أن كاننج لم يتفق مع طلب اوترام، ورفض التورط مع سياسات ايران القبلية بحيث يتعذر عليه الخروج منها بعد نهاية الحرب، مؤكدا بأن السياسة الثابتة لبريطانيا هي المحافظة على كيان إيران، إذ جاء جوابه إلى اوترام واضحا بقوله ((إنه بالنظر إلى معارضة الحكومة البريطانية لسياسة تجزئة إيران...وبالنظر إلى ما سوف يسببه ذلك من إحراج لنا في المستقبل، فإني لا أحبذ مثل هذا الاجراء))[٥٥].

من جانب آخر فقد نصبت القوات الإيرانية بطاريتين أرضيتين قويتين على جانبي مصب نهر الكارون لتسيطر بشكل كامل على هذا الممر المائي الحيوي، وكانت ضفتي النهر مغطاة بغابات النخيل لمسافة عدة أميال، في حين بلغ تعداد القوات الإيرانية المعسكرة في المحمرة حوالي (١٣٠٠٠)رجل، و(٣٠)مدفعا تحت قيادة خالار ميرزا[٥٦].

ومع ذلك أدركت السلطات الإيرانية نتيجة للهزائم المتلاحقة التي تعرضت لها قواتها، أن لا طاقة لها بالوقوف بوجه القوات البريطانية فأرسلت إلى فرخ خان الموجود في باريس تعليماتها لاستئناف المفاوضات مع السفير البريطاني هناك لإنهاء الحرب، فقد أشار الشاه في رسالته لفرخ خان إلى حالة الانهيار السريعة التي أصبحت عليها إيران، وحثه فيها على الصلح ((وصلت رسائلك ولاحظنا جميعها بدقة واطلعنا على مطاليب انكلترا الصعبة، ومهما تكن كل فقرة منها وما تسببه من أضرار كبيرة وواضحة لإيران ...لكن استعدادات انكلترا ونيتها في إطالة أمد هذه الحرب ومقارنتها مع حالة إيران الآن، التي تقتضي عدم الإبقاء على هذه الاوضاع ...ابذل كل ما في وسعك للتخفيف عن تلك المطاليب، فإذا وفقت عن كلها او بعضها فقد اسديت خدمة

لبلادك، وإذا لم يخفف السفير الانكليزي من مطالبيه الخمس ورأيت عنادا وإصرارا منه، مما يسبب خروج الأمر من يدك فطبعا اقبل ولا تدع الأمر يجري الى استمرار الحرب))(٥٧).

وفي الوقت الذي كانت فيه القوات البريطانية تتقدم في أراضي إيران بدأت المفاوضات بين كولي، السفير البريطاني في باريس، وفرخ خان، الذي كان يملك صلاحيات التفاوض في كافة المسائل المتنازعة عليها، بما في ذلك النقاط التي سبق أن رفض الموافقة عليها في الاستانة، ففي اللقاء الذي تم في ١ شباط ١٨٥٧ أكد فرخ خان بأن الشاه أصبح مستعداً لسحب قواته من هرات، والتعهد بعدم مهاجمتها او مهاجمة أي منطقة أخرى في أفغانستان، وإحالة جميع الخلافات هناك إلى الوساطة البريطانية، بشرط إن تتعهد الحكومة البريطانية بمنع القبائل الأفغانية من مهاجمة الحدود الإيرانية، وأن لا تتخلى إيران عن حقها في الرد على أي هجوم تتعرض له من جانبها، وأشار إلى أنه يحمل طلباً خاصاً من الشاه، بعدم اصرار الحكومة البريطانية في طلبها بإقالة الصدر الأعظم، أما بخصوص التمثيل القنصلي في إيران فقد أكد بأن الشاه لا يعارض الحكومة البريطانية بتعيين قناصل لها في المدن الإيرانية التي يوجد فيها قناصل للروس(٥٨).

وفي الوقت الذي تقاربت فيه وجهات نظر البلدين وأوشكا على الاتفاق، كانت هناك ضغوطاً خارجية تعمل سوية وتناضل ضد هذا الاتفاق، فالسفير الروسي نجح في اقناع فرخ خان بالتريث في توقيع الاتفاقية ريثما تسقط حكومة بالمرستون، التي تتعرض لانتقادات لاذعة في البرلمان بسبب سياستها الخارجية، للحصول على شروط أفضل لبلاده، لا سيما وأن فرخ خان لمس ذلك شخصيا أثناء الجولة الأخيرة من المفاوضات بتنازل البريطانيين عن إصرارهم باقاله الصدر الأعظم ودفع التعويضات الى الأفغان ورفض حماية الخارجين على سلطة الشاه، لهذا أصرّ فرخ خان بأن يكون للشاه الحق في شن الحرب على أفغانستان في حالة الدفاع عن النفس، فضلا عن رفضه إضافة مادة جديدة للمعاهدة الجديدة تتعلق بتعيين القناصل البريطانيين في إيران(٥٩).

وبما أن بالمرستون كان في موقف لا يحسد علية أمام البرلمان، لذا كان الموقف يتطلب اتخاذ إجراء ما لوقف الحرب، مما اضطره إلى الاستجابة لطلب الشاه بخصوص أفغانستان بشرط تنازل إيران عن جميع مطالبها في هرات، أما مسألة تعيين القناصل البريطانيين في إيران، فقد أصر على التمسك بها على أساس المساواة مع روسيا في هذا الشأن. وفي ١٨ شباط اقر مجلس الوزراء البريطاني التعديلات التي أجريت على شرط الاتفاق وابلغ بها كولي مباشرة، إلا أن فرخ خان ظل متمسكا بموقفة بعدم المصادقة على المقترحات البريطانية ما لم تقدم بريطانيا تعهداً بعدم ضم هرات الى كابول وقندهار(٦٠).

لم يحمل موقف فرخ خان نوعاً من الغرابة، اذ علمنا بان الدبلوماسية الروسية كانت تسعى بجد لدى بريطانيا لتعديل شروط السلام وتحث إيران من جانب آخر على رفض تلك الشروط، ولاسيما تلك التي تتعلق بمساواة بريطانيا مع روسيا في التمثيل القنصلي، وفي الوقت الذي كان فيه كلارندون مستعداً لاتخاذ موقف حازم ازاء أي تدخل روسي لإذلال الأهداف التي من اجلها قامت بريطانيا بشن الحرب، لكنه كان مدركاً أن روسيا قد تدعم إيران ليس فقط بالكلمات بل وبشكل فعال في حالة قيام بريطانيا بالمغالاة بمطالبيها، ولهذا أكد الوزير البريطاني في بطرسبورغ، اللورد ودهاوس *Wodehouse* في أكثر من مناسبة ان بريطانيا لا ترغب بسيادة كل من دوست محمد أو الشاه على هرات[٦١]، ونجح هاوس في إقناع الروس بذلك مؤكداً ((بأن بريطانيا لم تكن لها مطامع في هرات))، لكنه لم يستطيع إزالة وساوس وزير الخارجية الروسي تجاه بريطانيا، لاسيما وان حكومة الهند البريطانية كانت قد عقدت معاهدات تحالف جديدة مع دوست محمد في٢٦ كانون الثاني ١٨٥٧ اكدت احترام حدود الهند وأفغانستان ومنحته معونة مالية قدرها(١٢) لك روبية سنوياً مادام في حرب مع إيران[٦٢].

وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها المفاوض الإيراني لمحادثات السلام بضراوة أثناء المفاوضات وبعدها لكي يقيد بريطانيا بإعطاء ضمان صريح باستقلال هرات وعدم توحيدها مع ولايات الأفغانية، وهو ما رفضه البريطانيون، أدراك أخيراً بأنّ بريطانيا ستبقى هي الدولة التي لا مناص من التفاهم معها في النهاية، ومع وجود برلمان منقسم، ورأي عام عدواني، أرادت الحكومة البريطانية سلاماً مشرفاً بأسرع وقت ممكن، فتم التوصل إلى توقيع معاهدة السلام في باريس بين البلدين من قبل كل فرخ خان وكولي في الرابع من آذار ١٨٥٧وصودق عليها في الثاني من أيار[٦٣].

نصت المعاهدات على(١٤) بنداً أكدت بنودها الأولى إقرار السلام الدائم وإعادة العلاقات الودية بين الطرفين، وانسحاب إيران من هرات والأراضي الأفغانية في حدود ثلاثة أشهر من تاريخ المصادقة على المعاهدة، كما تقرر إطلاق سراح اسرى الحرب بين الجانبيين الأفغانيين وإصدار العفو عن جميع الإيرانيين المتهمين بالتعاون مع بريطانيا أثناء الحرب في حين ألزم البند السادس إيران بالتنازل عن كافة مزاعمها بالسيادة المطلقة على مقاطعة ومدينة هرات والأقاليم الأفغانية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية وان تعترف باستقلالها، على ان يكون هناك نوعاً من التشاور المستمر بين الجانبين حول شؤون افغانستان كلما تطلبت الحاجة لذلك.وصان البند السابع حق إيران باتخاذ إجراء عسكري عبر حدودها الشرقية في حالة انتهاك الأفغان لحرمتها، بشرط أن تعود القوات الإيرانية الى موقع انطلاقها بالسرعة الممكنة من دون أن تتخذ من ذلك العمل ذريعة لاحتلال دائم، وبموجب البند التاسع تعهد الجانبان

بمنح كل منهما لممثلي الجانب الأخر حقوق رعايا الدولة ذات الحظوة على ان يسري ذلك على التبادل التجاري بينهما.وتكفل البند العاشر باستقبال البعثة البريطانية بالشكل اللائق عند عودتها إلى طهران.وتطرق البند الحادي العشر إلى تسوية الديون المستحقة للرعايا البريطانيين المقيمين في إيران، واشتمل البند الثاني عشر على تنازل الحكومة البريطانية عن حقها في حماية الرعايا الإيرانيين غير العاملين في البعثة البريطانية بشرط تنازل الدول الأجنبية الأخرى بالمثل .وجددت بريطانيا عبر البند الثالث عشر اتفاقية حظر تجارة الرقيق في الخليج العربي لعام ١٨٥١ لعشر سنوات أخرى اعتباراً من تاريخ نفاذ المعاهدة في العام ١٨٦٢، وأخيرا نص البند الرابع عشر على إنهاء حالة الحرب بين البلدين وانسحاب القوات البريطانية من الأراضي الإيرانية بشرط انسحاب الجيش الإيراني من هرات والمناطق الأفغانية الأخرى[٦٤].

وبعد اسبوعين من توقيع المعاهدة التي سميت (معاهدة باريس) بين بريطانيا وايران، ومن دون أن يعلم بها، غادر اوترام بوشهر في ١٨ آذار ١٨٥٧ على رأس قوات مؤلّفة من(٤٨٨٦) رجلاً وأربعة سفن مسلحة وزورقين حربيين و(١٢) مدفعا، وفي ٢٨ آذار فتحت المدافع والسفن نيرانها على البطاريات الايرانية الموجودة عند مصب نهر الكارون، في الوقت الذي نزلت فيه القوات البريطانية بإمرة القائد هافيلوك *Havilock* لتتقدم عبر غابات النخيل ومن خلال ممر ضيق باتجاه المعسكر الإيراني، الذي لم يبدِ مقاتلوه مقاومة تذكر، إذا ولوا هاربين مخلفين وراءهم الكثير من الخيام والأمتعة ومخازن العتاد مع(١٦) مدفعا[٦٥].

وفي الوقت نفسه أرسلت حملة بقيادة الكابتن رينيه *Remmie* من البحرية الهندية، إلى الكارون تتكون من(٣) بواخر نهرية، و(٣) قوارب مسلحة، و(٣) قاطرات سفن، و(٣٠٠) رجل من الفرقتين(٦٤) و(٧٨) لتعقيب فلول الجيش الايراني المهزوم، وفي الأول من نيسان وصلت القوات البريطانية إلى الاحواز، حيث كانت الحكومة الايرانية قد جمعت بعض قواتها لتعسكر هناك، وبعد أن نزلت القوات البريطانية على مقربة من المعسكر الايراني ولت القوات الايرانية هاربة مذعورة بكاملها أمام هذه القوة الصغيرة، التي نجحت فعلاً باحتلال الاحواز، ومن ثم عاد رينيه إلى مدينة المحمرة في الرابع من نيسان تاركاً الاحواز بعهدة الكابتن هونت *Hunt*[٦٦].

لهذا نرى انه في الوقت الذي توصل فيه الطرفان توقيع معاهدة باريس كانت العمليات العسكرية البريطانية مستمرة على الأراضي الإيرانية، وكادت القوات البريطانية أن تسيطر بسهولة على عموم إقليم الأحواز لولا علم اوترام في الخامس من نيسان بأنباء توقيع معاهدة السلام بين بريطانيا وايران، الأمر الذي دفعه لإيقاف القتال في جميع الجهات بشكل مباشر[٦٧].

واستنادا إلى بنود المعاهدة عاد موري إلى طهران يوم ١٨ تموز ١٨٥٧ واستؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين، وصدرت الأوامر إلى القوات الايرانية

بالانسحاب من هرات، وفي الوقت نفسه صدرت الأوامر للقوات البريطانية بالانسحاب من إيران، ولكن أسلوب المراوغة الذي استخدمه الطرفين عطل من الانسحاب حتى مطلع عام ١٨٥٨[٦٨].

عاد فرخ خان من لندن بخفي حنين إلى طهران، في حين لم يصدق الصدر الأعظم عندما تليت على مسامعه بنود المعاهدة، إن ما جاء فيها لا يتضمن عزله من منصبه فقال متنفسا الصعداء ((أهذا كل ما يريدون))!!، وعندما تأكد من ذلك قال ثانية ((الحمد لله))!!![٦٩].

من الطبيعي جدا أن يكون للحرب البريطانية الإيرانية تأثيراً كبيراً وحكومتها، التي لا تستطيع أن تتجاهل كون محافظاتها الجنوبية اصبحت مفتوحة أمام الغزو البريطاني عن طريق الكارون، والحالة المتردية والمنهارة التي اصبح عليها الجيش الايراني فضلاً عما سببته هذه الحرب من خسائر فادحة لايران، يأتي في مقدمتها أنها سلبت عن نفسها أي حق لها في هرات وخسرتها إلى الأبد، أما من جانب بريطانيا فإن معاهدة باريس وإن حققت لها ارتياحاً واضحاً ولكن من مصلحتها أن تبقى إيران قوية مستقلة، وهذا ما شكل حجر الزاوية في سياستها تجاه ايران في الفترة التي تلت عقد معاهدة باريس بحيث أن ايراناً قوية تستطيع أن تحتل دوراً مفيداً باعتبارها حاجزاً للهند.

الخاتمة:

شكلت هرات مسرحاً للمناورات البريطانية والروسية، فالسياسة البريطانية في الشرق كانت واضحة جدا، وإن قلقها ومخاوفها على هرات لم ينتهِ مع انتهاء حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦) وإنما ازداد بشكل أكثر مما كان عليه سابقا، إذ إن روسيا حسب اعتقاد البريطانيين ستحاول دون شك تعويض خسارتها في تلك الحرب بمحاولتها ايجاد خيار جديد لها في آسيا للتوسع باتجاهه، وإثارة المشاكل لبريطانيا، بوصف تلك المناطق تمثل الثغور الشمالية الرخوة للهند، وهذا ما حمل معظم المسؤولين البريطانيين بأن روسيا تقف بشكل أو بآخر وراء ذلك الإصرار والعناد الإيرانيين، للاستيلاء على هرات، على الرغم من كل ذلك الرفض من لدن روسيا لتلك الاتهامات وتأكيد استعدادها للتوسط لحل النزاع هذه مرات عديدة.

حاول اغا خان نوري، الصدر الأعظم أن يمتص القلق البريطاني في البداية، وسعى إلى المراوغة في ردوده على الكثير من الاستفسارات البريطانية وكسب الوقت، وكان الهدف من وراء ذلك هو وضع بريطانيا أمام الأمر الواقع، ولكن بريطانيا بعد أن تأكدت جيدا أن الإيرانيين لا يخططون للسيطرة على هرات حسب، بل وكذلك أفغانستان بأكملها، لم يكن أمامها سوى الابتعاد عن أساليب الدبلوماسية في التعامل مع إيران آنذاك واتخاذ الإجراءات الحربية اللازمة لاسترجاع هرات وإبعاد

النفوذين الروسي والإيراني عنها، الأمر الذي أكدته تطورات الأحداث، بإنزال بريطانيا لقواتها مرة أخرى في بوشهر واحتلال جزيرة خرج ، وتعرضت القوات الإيرانية إلى خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، وفي الوقت الذي أدركت فيه السلطات الإيرانية نتيجة الهزائم المتكررة لها ، أن لا طاقة لها بالوقوف أمام القوات البريطانية ولم يكن أمامها سوى طلب الصلح، وفعلا جرت مفاوضات بهذا الشأن بين الطرفين توصلا بعدها إلى معاهدة جديدة سميت بمعاهدة باريس في ١٤ آذار ١٨٥٧، وتمت المصادقة عليها في ٢٠ آيار ١٨٥٧ ومع أن إيران كانت قد ماطلت في الانسحاب من هرات، إلا أنها تركتها أخيرا في أيلول ١٨٥٨ تحت الضغط البريطاني.

هوامش البحث:

(١) نجحت إيران في بسط سيطرتها على هرات(المحافظة الثالثة في أفغانستان) خلال العهد الصفوي، وفقدت هذه السيطرة أثناء الفوضى التي أعقبت وفاة نادر شاه عام ١٧٤٧، فأصبحت واحدة من الإمارات المتناحرة في أفغانستان. لمزيد من التفاصيل عن هرات يراجع: خليل الله خليلي،هرات، تاريخها،آثارها، ورجالها، بغداد، ١٩٧٤:

(٢) استبدلت تسمية بلاد فارس باسم إيران، عام ١٩٣٥،لهذا سأستخدم تسمية إيران بدلا من فارس انسجاما مع عنوان البحث.

(3) J.F. Standish. "The Persian war of 1856-1857",Middle Eastern studies, London, vol.3,No.1, October ,P.19.

(4) Ibid; J.B .Kelly, op.cit,p.299.

(٥) عن نص المعاهدة يراجع:
J.C.Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East A Documentary Record 1535-1914, vol .I, New York, 1972, pp.123-124.

(٦) لمزيد من التفاصيل عن المباحثات وتسوية الأمور بين الطرفين يراجع: باسم حطاب حنش الطعمة، المصدر السابق،ص٢١٣-٢٢٢.

(7) G.J. Alder, op.cit.p.193.

(٨) كبتن هنت انكليس، جنك انكليس وإيران،درسال ١٢٧٣ هجري، ترجمة: آقاي حسين سعادت نوري، طهران، ١٣٢٧،ص٣٧.

(٩) كبتن هنت انكليس، جنك انكليس وإيران،درسال،ص٣٨-٣٩.

(١٠) كبتن هنت انكليس، جنك انكليس وايران،درسال،ص٣٩.

(11) G.R. Markham, op.cit,p.498.

(12) G.J. Alder, op.cit,p.194.

(13) J.F. Standish, op.cit,p.20.

(١٤) عبد الله رازي، تاريخ مفصل ايران،أز تأسيس سلسلة مادتا عصر حاضر،جاب دوم، تهران، ١٣٣٥،ص٤٩٢.

(١٥) كبتن هنت انكليس، جنك انكليس وايران،درسال،ص١٤١؛ G.R.Markham, op.cit,p.499.

(١٦) G.J. Alder, op.cit,p.195.

(١٧) عن نص المعاهدة يراجع:
C.U. Aitchson, Acollection of Treaties ,Engagements and Sand Relating to India and Neighboring Countries, vol. XIII, Calcutta, 1933, pp.77-79;
محمود محمود، تاريخ روابط سياسي إيران وانكلس درقرن نوزدهم ميلادي ، جلد دوم، تهران، ١٣٣٦، ص٤٩٥-٤٩٧.

(18) P, Sykes, A History of Persia, vol.II, London, 1958, p.347.
(19) M. Volddarsky." Persia's Foreign Policy between the Tow Heart Crises 1831-1856", Middle Eastern studies, London, vol.21, No. 2, April 1985, pp.137-139.
(٢٠) باسم خطاب حنش الطعمة، المصدر السابق،ص٢٣٩.
(21) J.F. Standish, op. cit, p.21.
(22) Ibid, pp.22-23.
(٢٣) رضا قلي خان، ملحقات تاريخ روضة الصفاي ناصري، جلد دهم، قم، ١٣٣٩، ص٦٠٧.
(24) P.Sykes, op, cit, pp.348-349.
(25) J.B.Kelly, op.cit,p.459.
(26) Ibid.p.460.
(27) G.R.Markham, op.cit,pp.501-503.
(٢٨) مقتبس من: J.F. Standish, op.cit, p.24.
(29) Ibid,p.24.
(30) Ibid,p.25. .
(31) G.J.Alder, op.cit,p.201
(32) J.F. Standish, op. cit,p .29.
(٣٣) عن المعاهدة يراجع: J.C.Hurew, tz,op.cit,pp.153-156.
(34) J.B.Kelly, op.cit,pp.462-463.
(٣٥) مقتبس من: Ibid,p.464.
(36) Ibd,p.465-466.
(٣٧) محمود محمود، تاريخ روابط سياسية، ايران وانكليس،ص ٥٣١_٥٣٢.
(38) P. Avery, Modern Iran, London, 1965,p.71; G.R. Markham, op.cit,p.504.
(٣٩) يخطأ باسم حطاب الطعمة عندما يذكر بأن بريطانيا أعلن الحرب على ايران بعد شهر واحد من دخول القوات الايرانية هرات. يراجع: باسم حطاب حنش الطعمة، المصدر السابق، ص٢٦٥.
(40) P. Sykes,op.cit,p.349.
(41) Ibid,p,350.
(42) J.B.Kelly, op.cit,p.472.
(43) Ibid, p.473; G.R.Markham, op.cit,p.505; J.F. Standish, op. cit, p.34.
(44) H. Algar, Religion and stat in Iran 1785-1906. Los Angeles, 1969, pp.154-155.
(45) J.B.Kelly, op.cit,p.474.
(٤٦) أصيب ستالكر بمرض لم يمهله طويلا إذ توفي على أثره في ١٤ آذار ١٨٥٧.
(47) Ibid,p.475.
(48) G.R.Markham, op.cit,pp.505-506.
(49) J.F. Standish, op. cit, p.35.
(50) G.R.Markham, op.cit,p.506.
(٥١) أبو القاسم طاهري، تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وتنكليس، جلد دوم، بلا، ١٣٥٤، ص٣٩٢.
(٥٢) باسم حطاب حنش الطعمة، المصدر السابق، ص٢٦٠.
(٥٣) مقتبس من: G.R.Markham, op.cit,p.507.
(٥٤) مقتبس من: J.B.Kelly, op.cit,pp.483-484..
(٥٥) مقتبس من: Ibid,p.484.
(56) G.R.Markham, op.cit,p.507.
(٥٧) ابو القاسم طاهري ،تاريخ روابط بازركاني ايران وانكلسي ،ص ٣٩١.
(58) J.B.Kelly,op.cit,p.485.
(٥٩) باسم حطاب حنش الطعمة ، المصدر السابق ،ص٢٦٢.
(60) J.B.Kelly,op citm.pp.491-492
(61) G.Alder,op.cit,p,71

(٦٢) ابو القاسم طاهري ،تاريخ روابط بازركاني ايران وانكلسي ،ص ٣٩٥.

(63) P.Avery,op.cit,p.71.

(٦٤) مؤتمن الملك، مجموعة معاهدات دولت عليه إيران بادول خارجة، طهران، ١٣٢٦، المجلد منشور بنصين فارسي وفرنسي. عنوان المجلد باللغة الفرنسية:

Motanen -ol- molk, Recueil Des Traites De L'Empire Persan Aves Lespays Etrangers, Taheran,1908,PP.41-42

(65) G.R. Markham, op,cit, p.507.

(66) Ibid, p.508.

(67) Ibid,

(68) Ibid, p.511.

(69) P. Avery, op.cit, pp. 68-69.

قائمة المصادر والمراجع

أ - باللغة العربية:

(١) باسم حطاب حنش الطعمة، العلاقات البريطانية - الايرانية ١٧٩٨-١٨٥٧، رسالة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٩٢.

(٢) خليل الله خليلي، هرات، تاريخها، آثارها، ورجالها، بغداد، ١٩٧٤.

ب - باللغة الانكليزية:

(1) Aitchson C.U., A Collection of Treaties Engugements and Sands Relating to India and Neigh – bouring Countries, vol. XIII, Calcutta,1933.

(2) Algar H. Religion and Stat in Iran 1785-1906, los Anyeles, 1969.

(3) Avery P. ,Modern Iran, London, 1965.

(4) Hurewitz J.C. ,Diplomacy in the Near and Middle East A Documentary Record1535- 1914, vol.I, New York, 1972.

(5) Kelly J.B. Britain and the Gulf 1795-1880, Oxford, 1968.

(6) Markham G. R.M. A General Sketch of the History of Persia , Lon don, 1977.

(7) Sykes P., A History of Persia, vol.II, London, 1958.

جـ - باللغة الفارسية:

(١) أبو القاسم طاهري، تاريخ روابط بازركاني وسياسي ايران وانكليس، جلد دوم، بلا، ١٣٥٤.

(٢) رضا قلي خان،ملحقات تاريخ روضة الصفاي ناصري،جلد دهم،قم، ١٣٣٩.

(٣) عبد الله رازي، تاريخ مفصل إيران أز تأسيس سلسلة مادتا عصر حاضر، جاب دوم، تهران، ١٣٣٥.

(٤) كبتن هنت انكلسن، جنك انكلسن وإيران درسال ١٢٧٣ هجري، ترجمة: أقاي حسين سعات نوري، طهران، ١٣٢٧.

(٥) محمود محمود، تاريخ روابط سياسي إيران وانكليس درقرن نوزردهم ميلادي، جلد دوم، تهران، ١٣٣٦.

(٦) مؤتمن الملك، مجموعة معاهدات دولت عليه ايران بادول خارجة، طهران، ١٣٢٦، المجلد منشور بنصين فارسي وفرنسي. عنوان المجلد باللغة الفرنسية.

(7) Motamen – ol – Molk , Recueil Des Traites De L'Empine Persan Avec Lespays Erranyers, Te'her'an, 1908.

د - البحوث باللغة الانكليزية:

(1) Alder G.J,." The Key to India?: Britain and the Heart Problem 1830-1863", Part. I, Middle Eastern studies, London, vol. 10,No. 2,May 1974.
(2) Standish J.F.," The Persian war of 1856- 1857", Middle Eastern studies, London, vol3. No.1, October, 1966.
(3) Voldarsky. M., "Persia's Foreign Policy Between the Tow Heart Crises 1831-1856", Middle Eastern studies, London, vol. 21, No.2. April 1985.